البشر الاحياء الذين يتكون منهم الشعب اللبناني اليـــوم ؟ » (١١) · ويجيب بالقول، حتى نتمكن من تعريف من نحن، لا بد لنا من ان نعرف موروثنا التاريخي العميق ، لننتقل منه الى ·· « العلامات الطائفية التي فيهـا نصنف » (١٢) · وبالفرنسية ما يلي : « aux etiquette confessionnelles sous lesquelles on nous classe » .

السؤال هذا ، في الظاهر ، بريء ، لا جديد فيه · يمكن ان ينطرح على اي بلد اخر ، وعلى أي شعب اخر ، ولا علاقة له بفرادة لبنانيـــــة · فبامكاننا ان نتساءل ، مثلا : « من هم هؤلاء البشر **الاحياء** الذين يتكون منهـــم الشعـب الفرنسي ، الانكليزي ، الروسي ، المصري ··· ، **اليوم** »؟ ليس في هذا السؤال اي انتقاص من لبنان ، او تجن على فرادته · السؤال ، في صياغته الشيحاوية نفسها ، له علاقة بالاحياء من هؤلاء البشر ، وليس بالاموات ، وبالواقع **الحاضر** المشار اليه بعبارة « **اليوم** » ، وليس الماضي · فاذا كان هـــذا هكذا ، وجب الانطلاق ، في تحليل **الحاضر** ، من **الحاضر** نفسه ، وليس من الماضي · كما ان الاحياء يتحددون بحياتهم ، وليس باموالهم · ونتذكر ، بهذا الصدد ، ما قالـه ماركس في مقدمة كتابه « اسهام في نقد الاقتصاد السياسي » ، حين تساءل : من اين نبدأ في تحليل بلد ما ، ومن وجهة نظر الاقتصاد السياسي ، فرأى ان نقطة الانطلاق لا يمكن ان تكون من السكان population ، فهذه العبارة ليست سوى **تجريد** اذا اهملنا ، مثلا ، **الطبقات** التي يتكون منها السكان · فالبشر ، فـــي انتاجهم **لحياتهم المادية** ، يدخلون فيما بينهم في علاقات محددة ضرورية مستقلة عن ارادتهم هي **علاقات الانتاج** · من هنا يبدأ التحليل ·

لكن شيحا ، وغيره من ايديولوجيي البرجوازية اللبنانية ، يتنصل ، بمفهوم الفرادة ، من ضرورة هذا المنهج العلمي · وهو حر في ذلك ، وفي اعتمـــــاد منهج اخر من التحليل · **فما هو منهجه** ؟

في هدف الرد على هذا السؤال ، نعود لندقق النظر في النص الذي اوردنا ، ونتوقف عند العبارة الاولى من النص الاول ، في قول شيحا : « بمـــا ان ليس بالامكان انتهاج نهج آخر ·· » · نفهم من هذه العبارة ، على سوء ترجمتها ، ان النهج في تجزئة هذه الكتلة البشرية ، او هؤلاء البشر الاحياء في لبنان ، الـى مجموعات « طائفية » ، كل منها في خانة منغلقة على الاخرى ، هو **نهج فكري** ، يجد في الفكر ، وليس في **الواقع المادي** ، ضرورته ، في ضرورة فعل التصنيف، كما هو واضح في النص الثاني · يتأكد هذا المعنى في العبارة الاولى ، ويتأكـد ايضا في عبارة « العلامة » ، etiquette : في العبارة الاولى ، يتحدد نهـــج التصنيف الطائفي كنهج افضل من غيره · بمعنى انه ليس الوحيد · ولئن وقع الاختيار عليه ، فبسبب مفهوم « الفرادة » ، وانسجاما معه ، اذ ان هذا المفهوم يمنع الفكر من اعتماد اي منطق اخر من التحليل يصـــح على غير لبنان : فهو ،